وكانت النصرة اولا للفرنج وقويت الريح على المسلمين فقال الشيخ عز الدين
باعلى صوته مشيرا بيده الى الريح ياريح خذيهم عدة مرار فعادت الريح
على مراكب الفرنج فكسرتها وكان الفتح وغرق اكثر الفرنج وصرخ
من المسلمين صارخ الحمد لله الذي ارانا في امة محمد صلى الله عليه وسلم رجلا
سخر له الريح وكان ذلك في يوم الاربعا ثالث المحرم واسر الفرنسيس ملك
الفرنج وحبس مقيدا بدار ابن لقمان ووكل بحفظه طواشي يقال له صبيح
ثم نفرت قلوب العسكر من المعظم لكونه قرب مماليكه وابعد مماليك
ابيه فقتلوه في يوم الاثنين سابع عشر المحرم وداسوه بارجلهم وكانت
مملكته شهرين قال ابن كثير وقد روي ابوه الصالح في النوم بعد قتل ابنه
وهو يقول • قتلوه شر قتلة • صار للعالم مثله
لم يراعوا فيه الا • لا ولا من كان قبله
ستراهم عن قريب • لاقل الناس اكله
فكان كذلك ووقع بعد ذلك قتال بين المصريين والشاميين وعدم
من المصريين طايفة كثيرة واتفقوا بعد قتل المعظم على توليه شجر
الدر ام خليل جارية الملك الصالح فملكوها وخطب لها على المنابر فكان
الخطبا يقولون بعد الدعا للخليفه واحفظ اللهم الجهة الصالحة ملكة
المسلمين عصمة الدنيا والدين ام خليل المستعصمية صاحبة السلطان
الملك الصالح ونقش اسمها على الدينار والدرهم وكانت تعلم على المناشير
وتكتب والدة خليل ولم يل مصر في الاسلام امراة قبلها ولما وليت تكلم
الشيخ عز الدين بن عبد السلام في بعض تصانيفه على ما اذا ابتلي المسلمون
بولاية امراة وارسل الخليفة المستعصم يعاتب اهل مصر في ذلك
ويقول ان كان ما بقي عندكم رجل تولونه فقولوا لنا نرسل اليكم رجلا ثم
اتفقت شجرة الدر والامرا على اطلاق الفرنسيس بشرط ان يردوا دمياط
الى المسلمين ويعطوا ثمانماية الف دينا عوضا عما كان بدمياط من
الحواصل ويطلقوا اسرى المسلمين فاطلق على هذا الشرط فلما سار
الى بلاده اخذ في الاستعداد والعود الى دمياط فندم الامرا على
اطلاقه • وقال الصاحب جمال الدين بن مطروح وكتب بها اليه
قل للفرنسيس اذا جيته • مقال صدق من قوول نصيح
اجرك الله على ما جرى • من قتل عباد يسوع المسيح
اتيت مصرا تبتغي ملكها • تحسب ان الزمر بالطبل ريح
فساقك الحين الى ادهم • ضاق به عن ناظريك الفسيح

وكل

وكل اصحابك اودعتهم • بحسن تدبيرك بطن الضريح
تسعين الفا لا ترى منهم • الا قتيلا او اسيرا جريح
وفقك الله لامثالها • لعل عيسى منكم يستريح
ان كان باباكم بذا راضيا • فرب غش قد اتى من نصيح
وقل لهم ان اضمروا عودة • لاخذ ثار او لعقد صحيح
دار ابن لقمان على حالها • والقيد باق والطواشي صبيح
فلم ينشب الفرنسيس ان اهلكه الله وكفى المسلمين شره واقامت
شجر الدر في المملكة ثلاثة اشهر ثم عزلت نفسها واتفقوا
على ان يملكوا الملك الاشرف موسى بن صلاح الدين يوسف بن المسعود
ابن الملك الكامل فملكوه وله ثمان سنين وذلك في يوم الاربعا ثالث
جمادى الاولى سنة ثمان واربعين وجعل عز الدين ايبك التركماني
مملوك الصالح اتابكه وخطب لهما وضربت السكة باسمهما وعظم شان
الاتراك من يوميذ ومدوا ايديهم الى العامه واحدث وزيره الاسعد
الفايزي ظلامات ومكوسا كثيرة ثم ان عز الدين خلع الملك الاشرف
واستقل بالسلطنه في سنة اثنين وخمسين ولقب الملك المعز وهو
اول من ملك مصر من الاتراك وممن جرى عليه الرق فلم يرض الناس بذلك
حتى ارضى الجند بالعطايا الجزيله واما اهل مصر فلم يرضوا بذلك
ولم يزالوا يسمعونه ما يكره اذا ركب ويقولون لا نريد الا سلطانا
رييسا ولد على الفطرة وكان المعز تزوج شجر الدر ثم انه خطب ابنة
صاحب الموصل فغارت شجر الدر فقتلته في اواخر ربيع الاول
سنة خمس وخمسين واقيم بعده ولده علي ولقب المنصور وعمره
نحو خمس عشرة سنة فاقام سنتين وثمانية اشهر وفي ايامه اخذ
التتار بغداد وقتل الخليفه ثم ان الامير سيف الدين قطز مملوك
المعز قبض على المنصور واعتقله في اواخر ذي القعده سنة سبع وخمسين
وتملك مكانه ولقب بالملك المظفر بعد ان جمع الامرا والعلما والاعيان
وافتوا بان المنصور صبي لا يصلح للملك لاسيما في هذا الزمان الصعب
الذي يحتاج الى ملك شهم مطاع لاجل اقامة الجهاد والتتار قد وصلوا
البلاد الشامية وجاء اهلها الى مصر يطلبون النجدة واراد قطز ان
ياخذ من الناس شيا ليستعين به على قتالهم فجمع العلما فحضر الشيخ
عز الدين بن عبد السلام فقال لا يجوز ان يوخذ من الرعيه شي حتى لا يبقى
في بيت المال شي وتبيعوا ما لكم من الحوايص والالات ويقتصر كل منكم

Copyright © King Saud University